الخاتمة

يبقى أن نشير في النهاية إلى خاتمة الدراسة، التي تتجلى فيها النتائج التي تمخضت عنها، ونرى أن أولى هذه النتائج تمثلت في إسهام الحسبة في الإبقاء على هوية المجتمع المصري بجل جوانبه، إذ دخل المجتمع المصري في العصر المملوكي تحت أطر الحسبة، وتدخل المحتسب من خلال هذا المنصب إلى كافة جوانب حياة المصريين في ذلك العصر.

لم يكن غريبا أن يحافظ المحتسب على نظم المجتمع المصري في إطار الضوابط الصارمة التي شكلت سلطته على المجتمع، وتوجيهه أيما اتجاه، في كافة النواحي الاجتماعية والاقتصادية والدينية والصحية والبيئية.

وتطور دور المحتسب، كما رأينا، عما كان في العصور السابقة، وخاصة عما كان في العصر الأيوبي، وكثرت أعباء المحتسب، وتدخلت الرشوة في الحصول على هذا المنصب الرفيع.وتولاها الأمراء المماليك، بعد أن كان يتولاها القضاة والعلماء، مما أصاب المجتمع بعض المفاسد في بعض الفترات التاريخية بالعصر المملوكي.

على الجانب الآخر، كان هنالك محتسبين لم يكونوا لا قضاة ، ولا أمراء، ولكن كانوا من بين هؤلاء الذين أرادوا أن يدفعوا أكثر للحصول على هذا المنصب، وبسط يدهم على المتاجر والمحلات، وكل ما تصل إيه من نهب وسرقة، حتى ضج الناس منهم، وأورد عنهم المؤرخين تقارير فاضحة.

وإذا كانت هذه الدراسة تناولت تاريخ الحسبة، فلا يمكن اغفال تاريخ المحتسبين أنفسهم، التي ظهرت بينهم المنافسة في ولاية هذا المنصب، وشاهدنا كيف كان يتم ذلك، بين بدر الدين العيني والمقريزي نفسه. وهنالك فصلا عقدناه عن المحتسبين الذين تولوا الحسبة ، كي تكتمل الصورة عن هذا الموضوع.

obeikandl.com

وعلى كل حال، فأن تاريخ الحسبة والمحتسبين بمصر في العصر المملوكي، دخلت في نطاق جديد، ظهرت فيها الضوابط الجديدة، وظهرت فيه أيضا المحتسبين الجدد. وتجلت أهمية كلا الاثنين : منصب الحسبة، ومكانة المحتسب في العصر المملوكي بشكل ملفت.

وندعوا الله تبارك وتعالى في أن يوفقنا فيما يحبه ويرضاه، ويبارك لنا في أعمالنا، ويجلعه في ميزان حسناتنا. والحمد لله رب العالمين.

opeikandl.com